من تهجير نسبة لا بأس بها من اولئك اليهود. الاّ انه لم يكن في كل هؤلاء ما يمكن ان يشفي الغليل من الناحية العددية، ويرسي الاسس لدولة يمكن ان تصمد طويلاً داخل محيط عربي معاد. وزاد الطين بلّة ان اليهود في البلدان الميسورة، وخصوصاً اوروبا الغربية واميركا، رفضوا، وما زالوا يرفضون، بأكثريتهم الساحقة، الهجرة الى اسرائيل والعيش فيها. وبمعنى آخر، بات واضحاً للعيان ان معين الهجرة الاشكنازية عموماً، من العالم الغربي، قد نضب، او كاد.

وفي مثل هذه الاوضاع، وجد الصهيونيون انفسهم مضطرين الى الاتجاه شرقاً، والعمل على «انقاذ» «الاخوة» اليهود السفاراديم، وخصوصاً اولئك منهم المقيمون في الدول العربية. واول ما وقع اختيارهم على العراق، خصوصاً وان اليهود فيه امتازوا عموماً بمستوى ثقافي لا بأس به. ولم يكن هؤلاء مستعدين، جميعاً، للهجرة؛ كما ان هذه العملية، بحد ذاتها، لم تكن سهلة، وكان لا بد من «تدبيرها». وعلى الأثر، دبّرت مؤامرة من شقين لتحقيق هذا الهدف. فقد اوعز الصهيونيون الى اتباعهم بين اولئك اليهود بترويع الجالية بأسرها وضعضعة الشعور بالاطمئنان لديها، وذلك بتدبير حرائق للكنس والمعابد اليهودية، ومن ثمّ حتى رمي القنابل على التجمعات اليهودية (وقد أُصدر عدد من الكتب في اسرائيل، يشرح بتفاصيل التفاصيل كيفية تدبير ذلك، من ألفه الى يائه). ومن ناحية أخرى، راح اولئك يجرون الاتصالات، بواسطة طرف ثالث، بحكومة نوري السَعيد وصحبه، لتسهيل عمليات الهجرة مقابل دفع الرشاوى «المناسبة». وفجأة، صدر عن البرلمان العراقي قانون يكاد يُفهم منه ان الوجود اليهودي بحد ذاته اصبح لاشرعياً هناك، وبشكل، او بآخر، لم يترك امام اليهود العراقيين الاّ امكانية التنازل عن جنسيتهم واملاكهم والهجرة الى اسرائيل. وهذا ما تمّ فعلاً. وراحت الطائرات تنقل المئات منهم كل يوم الى اسرائيل. وفي البداية، كانت هذه الرحلات تتمّ من طريق بلد ثالث، مثل تركيا او قبرص؛ الى ان حوّلت اخيراً الى رحلات مباشرة، من بغداد الى تل ـ ابيب. ومع استكمال هذه العملية تمّ تهجير اكثرية يهود العراق، أي ما يزيد على مئة ألف الى اسرائيل.

ويكاد يخيل للمرء ان هذه الطريقة في سوق اليهود الى اسرائيل افواجاً، سواء شاءوا أم أبوا، هي التي تدور في اذهان الزعماء الاسرائيليين والقائلين لهم «نعم» دائماً، من اليهود الاميركيين، عندما يطالبون بأقامة خطوط طيران مباشر بين موسكو وتل ـ ابيب. ويمكننا ان نتصور انه لو تمّ ذلك لراح جزء من طائرات الـ عال، شركة الطيران الاسرائيلية، يحط يومياً في مطار موسكو، لشحن المهاجرين من هناك الى اسرائيل. وان سارت الأمور على ما يرام، وتوسعت الاعمال، فلن يكون هناك مانع من تحويل جزء من طائرات النقل الحربية الضخمة، التابعة للجيش الاسرائيلي، بعد دهنها بشعارات مدنية، للمساهمة في تنفيذ هذا العمل «الجليل».

والانكى من ذلك هي تلك الصفاقة التي يواجه بها الصهيونين كل من يذكّرهم بمسألة اللاجئين الفلسطينيين ومسؤوليتهم تجاهها، بادعائهم، ببساطة، بأن «تبادل سكان» حدث بين اسرائيل والدول العربية، وعل كل طرف ان يهتم بـ «سكانه»، دون الاكتراث بأسباب هذا «التبادل» والمسؤولية عنه.

وما حدث في العراق حدث ايضاً في شطري اليمن، في عهد الامام والحكم البريطاني، مع ضجة اقل، ومشاكل اقل ايضاً. فهناك لم يكن برلمان ولا رقابة، حتى وانْ كانت صورية، ولا رأي عام. وكان كافياً تقديم شيء من الرشاوى الى هذا، او الى ذاك.

ومن مشرق العالم العربي انتقلت اسرائيل الى مغربه، واولا الى المغرب، حيث كانت تتواجد طائفة يهودية كبيرة. وقبل ان يحصل البلد على استقلاله، استطاعت اسرائيل تهجير اعداد كبيرة من سكانه اليهود. واستمرت هذه العمليات، ايضاً، حتى بعد الاستقلال.